

بسنوات ، فانه قد اعتبر الخلاف بين بريطانيا والولايات المتحدة اسطورة ، وحنر من تصديقها ، لأن « الدولتين كتلة استعمارية واحدة في وجه العرب » (١٣) . وفي مقال ظهر في جريدة البعث عام ١٩٥٠ ، بعنوان « اسطورة النزاع بين بريطانيا واميركا » يحذر البعث من انقسام وجهات النظر العربية الى معسكرين . الاول يفضل بريطانيا ويراهم أقل خطرا ، والآخر يأمل من اميركا الخير . ولقد رأى البعث في هذا الانقسام لعبة خطط لها الاستعمار ، ليقنع العرب بأن هنالك هوة في صفوف الغرب الاستعماري . فموقف البعث هنا يتلخص في اعتبار ان الولايات المتحدة وبريطانيا دولتان استعماريتان ، تنظران الى العرب نظرة واحدة ، وتحاربان العرب بسلاح واحد ، فكلاهما يستهدف استبعاد العرب واستثمارهم وتشريدهم .. والمحك والمقياس هما القضية الفلسطينية . ولأن البعث يرفض مقولة وجود الخلاف بين الدولتين ، فهو لم يتوهم كما توهم بعض الساسة التقليديين بأن بريطانيا عادت من جديد صديقة للعرب ، ومع ذلك فان التحليل العلمي الدقيق لاسباب النزاع والتمايز ، الذي جعل بريطانيا تظهر وكأنها صديقة للعرب ، واميركا على انها المساعد الاكبر لاسرائيل ، لم يظهر في ادبيات البعث الا في وقت متأخر . ان انتقال زعامة الامبريالية من اوربا الى اميركا وما رافقه من تطورات وتغيرات لم يستقطب اهتماما كافيا من الحزب في حينه ، فاكتفى الحزب باعتبار اميركا وبريطانيا وجهان لعملة واحدة ، من دون تمييز الزعيم عن الشريك .

نستخلص مما سبق المؤشرات التالية التي تكشف تطور نظرة البعث الى الاستعمار تحت تأثير النكبة الفلسطينية خصوصا من مرحلة الاربعينات الى بدايات الخمسينات :

١ - تطور نظرة البعث من عداة الاستعمار المباشر في كل البلاد العربية عموما الى تركيز هذا العداة على الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين ، من دون ان يعني ذلك تخفيفا من حدة العداة للاستعمار عموما . وبالتالي امست القضية الفلسطينية في نظرة البعث هي القضية المركزية في سياق نضال الامة العربية .

٢ - تطور نظرة البعث الى الاستعمار والرجعية من نظرة تعتمد الاحكام الاخلاقية ، وتطغى عليها التعليقات الاخلاقية ، كما جاء في تعليل وحشية الاستعمار الفرنسي وردها الى ان الفرنسيين « ورثوا حقدا » على العرب ، واصروا على افنائهم كأمة نتيجة (البغض) و (الكراهية) ... تطورت هذه النظرة لتعتمد أكثر فأكثر على تحليل مغزى الاستعمار ومعناه ، من حيث هو غزو قومي يستهدف استثمار رؤوس امواله في البلاد المستعمرة . ونرى ربطا بين الاستعمار والاقطاع والرجعية سيتخذ شكلا أكثر علمانية وجنرية في أوائل الستينات . (المؤتمر القومي السادس بالتحديد عام ١٩٦٢) .

٣ - تطور الانطلاق من التركيز الخاص على سوريا الطبيعية الى الوطن العربي عموما ، نحو جعل الوطن العربي الام الوحيدة لفلسطين .. لا سوريا الطبيعية وبعدها الوطن العربي

٤ - الكف عن مناشدة الاستعمار للتراجع عن مخططاته التأميرية ، وعن توجيه العتاب اليه تارة ، والتعبير عن خيبة الامل في اعلاناته السياسية الزائفة تارة اخرى . والانتقال نحو المطالبة بالكفاح الشعبي المسلح اسلوبا لتحرير فلسطين ، من دون الاعتماد على الحكومات الاقطاعية التي طالب الحزب الجماهير بالعمل على اسقاطها .